

مختصر

جامع العلوم والحكم

للإمام الحافظ ابن رجب الجنبلي

أخضرة وعائق عليه

محمد بن سليمان بن عبد الله المهنا





﴿ الْحَدِيثُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ ﴾

■ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا؛ نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا؛ سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ؛ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا؛ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا أَنْزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةَ، وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ؛ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.



﴿ الشَّرْحُ ﴾

هَذَا الْحَدِيثُ خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وخرَّجاني «الصَّحِيحِينَ»، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا

يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ

فَرَّجَ عَنِ مُسْلِمٍ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ

مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ

الدُّنْيَا؛ نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»:

هَذَا يَرْجَعُ إِلَى أَنَّ الْجِزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

و(الْكُرْبَةُ): هِيَ الشَّدَّةُ الْعَظِيمَةُ؛ الَّتِي تُوقِعُ صَاحِبَهَا

فِي الْكُرْبِ، وَ(تَنْفِيسُهَا): أَنْ يَخَفَّفَ عَنْهُ مِنْهَا؛ مَاخُودٌ مِنْ:

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٤٤٢)؛ وَمُسْلِمٌ (٢٥٨٠).



تَنْفِيسِ الْخِنَاقِ؛ كَأَنَّهُ يُرْخِي لَهُ الْخِنَاقَ؛ حَتَّى يَأْخُذَ نَفْسًا.

و(التَّفْرِيجُ) أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ؛ وَهُوَ: أَنْ يَزِيلَ عَنْهُ الْكُرْبَةَ؛
فَتَنْفَرَجَ عَنْهُ كُرْبَتُهُ، وَيَزُولُ هُمُّهُ وَغَمُّهُ.

فجزاء التَّنْفِيسِ: التَّنْفِيسُ، وجزاء التَّفْرِيجِ: التَّفْرِيجُ؛ كَمَا
فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ.

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ يَسَّرَ عَلَيَّ مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»:

هَذَا - أَيْضًا - يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الإِعْسَارَ قَدْ يَحْصُلُ فِي الْآخِرَةِ؛
وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنَّهُ (يَوْمٌ عَسِيرٌ)؛ وَقَالَ: ﴿وَكَانَ
يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ﴿٢٦﴾ [الفرقان: ٢٦].

والتَّيْسِيرُ عَلَى الْمُعْسِرِ فِي الدُّنْيَا مِنْ جِهَةِ الْمَالِ؛ يَكُونُ
بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ:



إِمَّا بِإِنظَارِهِ إِلَى الْمَيْسِرَةِ؛ وَذَلِكَ وَاجِبٌ، ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو
عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وتارةً بالوضع عنه إن كان غريمًا، وإلا فبإعطائه ما يزول
به إعساره. وكلاهما له فضلٌ عظيمٌ.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: «كان تاجرٌ يداينُ النَّاسَ، فإذا رأى مُعْسِرًا
قال لصبيانه: تجاوزوا عنه؛ لعلَّ الله أن يتجاوزَ عنا؛ فتجاوزَ
الله عنه!» (١).

وخرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنِ النَّبِيِّ
صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّهَهُ اللهُ مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛
فَلْيَنْفُسْ عَنِ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ» (٢).

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٨)؛ ومسلم (١٥٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٦٣).



قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ»:

هذا مما تكاثرت النصوصُ بمعناه.

وقد روي عن بعض السلف أنه قال: «أدركتُ قومًا لم
يكن لهم عيوبٌ؛ فذكرُوا عيوبَ الناسِ؛ فذكرَ الناسُ لهم
عيوبًا! وأدركتُ أقوامًا كانت لهم عيوبٌ، فكفُوا عن عيوبِ
الناسِ؛ فنسيتُ عيوبَهُم!»؛ أو كما قال.

وشاهدُ هذا: حديثُ أبي برزة، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أنه قال: «يا معشرَ مَنْ آمَنَ بلسانه، ولم يدخلِ الإيمانُ في
قلبه؛ لا تغتابوا المسلمينَ، ولا تتبِعُوا عوراتِهِمْ؛ فإنه من تتبِعَ
عوراتِهِمْ؛ تتبِعَ اللهُ عورتهُ، ومن تتبِعَ اللهُ عورتهُ؛ يفضحهُ في
بيته!»، خرَّجهُ الإمامُ أحمدُ وأبو داود^(١)، وخرَّجَ الترمذيُّ

(١) أخرجهُ أحمدُ (٤/ ٤٢٠)؛ وأبو داودَ (٤٨٨٠)؛ وصحَّحه الشيخُ الألبانيُّ
رحمَهُ اللهُ في «صحيح الجامع» (٧٩٨٤).



معناه من حديث ابن عمر^(١).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»:

بعث الحسن البصريُّ قوماً من أصحابه في قضاء حاجة لرجل؛ وقال لهم: مُرُّوا بثابتِ البُنانيِّ فخذوه معكم؛ فأتوا ثابتاً؛ فقال: أنا مُعتكِفٌ! فرجعوا إلى الحسن فأخبروه؛ فقال: «قولوا له: أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم؛ خير لك من حجة بعد حجة؟!»؛ فرجعوا إلى ثابت؛ فترك اعتكافه، وذهب معهم!

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يحلب للحي أغنامهم، فلما استخلف؛ قالت جارية منهم: الآن لا يحلبها! فقال أبو بكر: «بلى! وإنني لأزجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه، عن

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢). وفي الباب أحاديث بمعناه؛ من رواية ثوبان، والبراء، وبريدة، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم.



شيء كنتُ أفعله» أو كما قال.

وإنما كانوا يقومون بالحلاب؛ لأنَّ العربَ كانت لا تحلبُ النساءُ منهم؛ وكانوا يستقبحون ذلك؛ فكان الرجالُ إذا غابوا؛ احتاج النساءُ إلى من يحلبُ لهنَّ.

وكان عمرُ يتعاهدُ الأراملَ؛ فيستقي لهنَّ الماءَ بالليل، ورأه طلحةُ بالليلِ يدخلُ بيتَ امرأةٍ؛ فدخل إليها طلحةُ نهاراً؛ فإذا هي عجوزٌ، عمياءُ، مُقعَّدةٌ! فسألها: ما يصنعُ هذا الرجلُ عندك؟ قالت: «هذا له منذُ كذا وكذا يتعاهدني؛ يأتيني بما يصلحني، ويُخرجُ عني الأذى»!

وكان أبو وائلٍ^(١) يطوفُ على نساءِ الحيِّ وعجائزهم

(١) أبو وائلٍ: هو شقيقُ بنِ سلمة، أحدُ كبارِ التابعين، أدركَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يرَهُ، وحدثَ عن الخلفاءِ -سوى أبي بكرٍ-، وقيل: حدثَ عنه، وهو من أعلمِ الناسِ بحديثِ ابنِ مسعودٍ، ماتَ قبلَ المئة. قال الذهبيُّ: «قلتُ: قد كانَ هذا السيِّدُ رأساً في العِلْمِ والعَمَلِ». انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٦١).



كُلَّ يَوْمٍ؛ فِيشْتَرِي لَهِنَّ حَوَائِجَهُنَّ وَمَا يُصْلِحُهُنَّ.
وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ فِي السَّفَرِ لِأَخْدِمَهُ؛
فَكَانَ يَخْدِمُنِي!»!

وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّالِحِينَ يَشْتَرِطُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي السَّفَرِ
أَنْ يَخْدِمَهُمْ!

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا؛
سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»:

سَلُوكُ الطَّرِيقِ لِالْتِمَاسِ الْعِلْمِ يَدْخُلُ فِيهِ: سَلُوكُ الطَّرِيقِ
الْحَقِيقِيِّ؛ وَهُوَ: الْمَشْيُ بِالْأَقْدَامِ إِلَى مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ؛
وَيَدْخُلُ فِيهِ: سَلُوكُ الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى حُصُولِ الْعِلْمِ؛
مِثْلُ: حَفْظِهِ، وَدِرَاسَتِهِ، وَمَذَاكِرَتِهِ، وَمَطَالَعَتِهِ، وَكِتَابَتِهِ،
وَالْتَفَهُّمِ لَهُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الطَّرِيقِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ
بِهَا إِلَى الْعِلْمِ.



وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»:

قَدْ يَرَادُ بِذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ يَسَهِّلُ لَهُ الْعِلْمَ الَّذِي طَلَبَهُ، وَيُسِّرُهُ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ طَرِيقٌ مُوصِلٌ إِلَى الْجَنَّةِ، وَقَدْ يَرَادُ أَيْضًا: أَنَّ اللَّهَ يُسِّرُ لَطَالِبِ الْعِلْمِ - إِذَا قَصَدَ بَطْلِبِهِ وَجْهَ اللَّهِ - الْإِنْتِفَاعَ بِهِ، وَالْعَمَلَ بِمُقْتَضَاهُ؛ فَيَكُونُ سَبَبًا لِهَدَايَتِهِ، وَلِدُخُولِ الْجَنَّةِ.

وَقَدْ يُسِّرُ اللَّهُ لَطَالِبِ الْعِلْمِ عِلْمًا أُخْرَى؛ يَنْتَفِعُ بِهَا، وَتَكُونُ مُوصِلَةً لَهُ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَقَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَيْضًا: تَسْهِيلُ طَرِيقِ الْجَنَّةِ الْحَسَنِيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَهُوَ: الصِّرَاطُ، وَمَا قَبْلَهُ، وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَهْوَالِ.

فَلَا طَرِيقَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَإِلَى الْوَصُولِ إِلَى رِضْوَانِهِ، وَالْفَوْزِ بِقَبْرِهِ، وَمَجَاوِرَتِهِ فِي الْآخِرَةِ؛ إِلَّا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ.



قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِ
اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ
السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ
اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»:

هَذَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْجُلُوسِ فِي الْمَسَاجِدِ؛ لِتَلَاوَةِ
الْقُرْآنِ وَدِرَاسَتِهِ.

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ جِزَاءَ الَّذِينَ يَجْلِسُونَ فِي
بَيْتِ اللهِ يَتَدَارَسُونَ كِتَابَ اللهِ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ:
أَحَدُهَا: تَنْزُلُ السَّكِينَةُ عَلَيْهِمْ.

وَالثَّانِي: غَشِيَانُ الرَّحْمَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ
قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) [الأعراف: ٥٦].

الثَّالِثُ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْفُّ بِهِمْ.



الرَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ يَذْكُرُهُمْ فَيَمَنُ عِنْدَهُ؛ وَذَكَرُ اللَّهُ لِعَبْدِهِ:
هُوَ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ فِي الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى بَيْنَ مَلَائِكَتِهِ، وَمُبَاهَاتِهِمْ بِهِ،
وَتَنْوِيهِهِ بِذِكْرِهِ.

وهذه الخصال الأربعة لكل مجتمعين على ذكر الله
تعالى.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ؛ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ
نَسَبُهُ»:

معناه: أَنَّ الْعَمَلَ هُوَ الَّذِي يَبْلُغُ بِالْعَبْدِ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ؛
فَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ أَنْ يَبْلُغَ بِهِ الْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؛
لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ فَيَبْلُغُهُ تِلْكَ الدَّرَجَاتِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ رَتَّبَ الْجَزَاءَ
عَلَى الْأَعْمَالِ لَا عَلَى الْأَنْسَابِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا
نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾

[المؤمنون: ١٠١].



وفي «الصَّحِيحِينَ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؛ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ! لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا! يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ؛ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا! يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ؛ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا! يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ؛ سَلِّينِي مَا شِئْتِ؛ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا!»^(١).

ويشهد لهذا: مَا فِي «الصَّحِيحِينَ»، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ؛ وَإِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢)؛ يَشِيرُ إِلَى أَنَّ وِلَايَتَهُ لَا تُنَالُ بِالنَّسَبِ وَإِنْ قُرْبَ؛ وَإِنَّمَا تُنَالُ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ فَمَنْ كَانَ أَكْمَلَ إِيمَانًا وَعَمَلًا؛ فَهُوَ أَعْظَمُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧٧١)؛ وَمُسْلِمٌ (٢٠٦).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٩٩٠)؛ وَمُسْلِمٌ (٢١٥).



ولاية له، سواء كان له منه نسب قريب، أو لم يكن.

وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بَدِينِهِ

فَلَا تتركِ التَّقْوَى اتِّكَالاً عَلَى النَّسَبِ

لَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ سُلْمَانَ فَارِسٍ

وَقَدْ وَضَعَ الشُّرْكَ الشَّقِيَّ أَبَا لَهَبٍ



التصميم الداخلي للكتاب

TharwatSultan@yahoo.com

Tharwat Sultan

للتواصل: 00201019530152

